*الملتقى الدولي الثاني حول:

العلاقات الجزائرية التركية

المنظم من طرف كلية العلوم الإنسانية ولاجتماعية بجامعة بسكرة

أيام 18 و 19 فيفري 2014

عنوان المداخلة:

قدسية منصب الخلافة الإسلامية (العثمانية) لدى الجزائريين

1962-1518

الدكتور علي غنابزية

جامعة بالوادي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية،

قسم العلوم الإنسانية،

ص ب 789،39000،الوادي، الجزائر.

D.ALI GHENABZIA

Université d'El Oued, Faculté des Sciences Sociales et Humaines, Département de Sciences Humaines,

BP789,39000, El Oued, Algérie

الملخص

يدرس هذا المقال، منصب الخلافة الذي عرف بقدسيته لدى المسلمين، ويمثل جزءا من السياسة الشرعية الإسلامية، وتناولته كتب التراث الأصيلة، وخصوصا عند الجزائريين، منذ انتماء الجزائر للدولة العثمانية، وما مثلته من مظاهر الولاء والتقدير والاحترام للسلطان، واستمرار العلاقة الروحية بعد احتلال الفرنسي للبلاد، ورغم مواقف الاستعمار المعادية، ظل المجتمع الجزائري محبا للخليفة لأنه رمز المسلمين.

الخطة العامة

المقدمة:

1) الخلافة في الشريعة الإسلامية:

2) انضواء الجزائر تحت لواء الخلافة العثمانية:

أ) التواصل بين الأخوين برباروس والخليفة العثماني

ب) استنجاد سكان مدينة الجزائر ونواحيها بالأتراك في جيجل

ج) اقتراح خير الدين إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية

د) إلالحاق النهائي للجزائر بالخلافة العثمانية

3) مكانة السلطان في حياة الجزائريين خلال العهد العثماني

ـ كانت وفود العلماء، والأعيان تشد الرحال إلى استانبول

ـ الفرح في الأيالة، بكل خبر يأتي من دار الخلافة

ـ كانت السكة تضرب في الجزائر، وتحتفظ باسم السلطان (الخليفة)

ـ الدعاء للسلطان في خطبة الجمعة، على مستوى الأيالة.

4) علاقة الجزائر بالخلافة أثناء فترة الاحتلال

5) موقف الاستعمار الفرنسي من الخلافة وأنصارها في الجزائر

ـ الخاتمة

قدسية منصب الخلافة الإسلامية (العثمانية) لدى الجزائريين 1962-1518

الدكتور علي غنابزية – جامعة بالوادي

المقدمة:

يتميز التاريخ الإسلامي بمفاصله الواضحة، ومراحله الثابتة، ومظاهره المسطرة في الكتب والأسفار، والتي تولت كتابتها بعض الأقلام المأجورة، والنخب المدسوسة، التي تناصر المدارس الأجنبية، وتنظر بعين واحدة، وحملت لواء التشويه والتزييف، وَسَمَّت الأشياء بغير مسمياتها، فضلت ضلالا مبينا. ومن تلك القضايا التاريخية الهامة، والمصطلحات المظلومة، منصب (الخلافة) الذي مثل جزءا من السياسة الشرعية الإسلامية، وتناولته كتب التراث الأصيلة والتاريخية، بداية من الخلافة الراشدة، ثم الأموية والعباسية، وبعض الدويلات التي رفعت شعارات قريبة، وآلت في النهاية إلى الخلافة العثمانية، التي أسقطت تحت معاول الماسون، وحوربت من الصهاينة، والاتحاديين، ومن آزرهم من الحاقدين على الإسلام، ووصفوها ـــ زورا وبهتانا ـــ بالدولة الدينية(الثيوقراطية)، إمعانا في التشويه.

وتعتبر الخلافة العثمانية، التي يحكمها السلطان(الخليفة)، جزءا من تاريخ الجزائر في(العهد التركي) منذ انضوائها تحت رايتها، وظلت الجزائر وفية لها طوال هذا العهد وبعده.

والإشكالية التي تفرض نفسها في هذا المقام، ما هو مفهوم وحكم الخلافة في الشريعة الإسلامية؟ وتحديد ظروف ودوافع انضواء الجزائر في حكم الخلافة العثمانية، وانتمائها (للدولة العلية)؟ وبحث مفهوم القدسية لمنصب الخلافة، ومكانة السلطان الروحية لدى الجزائريين خلال العهد التركي بالجزائر؟ وعلاقة المجتمع الجزائري بالخلافة ومدى تمسكهم بشرعيتها خلال العهد الاستعماري؟ وموقف الاستعمار الفرنسي من الخلافة وأنصارها في الجزائر في إطار الحركة الوطنية الجزائرية ومبدأ الجامعة الإسلامية.

والجدير بالذكر أن المجتمع الجزائري، بقي وفيا لمنصب الخلافة، رغم كل الثورات والانتقادات للنظام التركي، باعتباره ولاء للدين، الذي لم يجد له مناصرا في ذلك العهد الذي ران فيه الاستعمار، ولا ملجأ للمسلمين، إلا العمل على مؤازرة الخلافة، لعلها تدافع عن ذمار المسلمين، وتسترجع البلدان المغصوبة إلى عمق الأمة الإسلامية.

1) الخلافة في الشريعة الإسلامية:

عند البحث عن تعريف دقيق لمعنى الخلافة أو الإمامة العظمى، تعني في الأدبيات التاريخية:(الحاكم الأعلى، أي الخليفة أو السلطان أو الملك أو رئيس الجمهورية). [1].

أما المفهوم العام لها هو "رئاسة الدولة الإسلامية" والخليفة هو الإمام الأعظم ورئيس هذه الدولة، وله وظيفتان، أولها إقامة الدين وتنفيذ أحكامه، والثانية القيام بسياسة الدولة التي رسمها الإسلام. [2] وإلى هذا المنحى أشار فقهاء السياسة الشرعية، فقد ذكر الماوردي، أن من مقاصد الخلافة:(حفظ الدين على أصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الأمة ... لينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة). [3] وفصلت المصادر في صفات الخليفة، ومن تولى هذا المنصب، وعمقتها كثيرا، مثلما ورد عند ابن تيمية وغيره. [4]

و(كان السلطان العثماني حاكما مطلقا مسلما، والصيغ الدستورية النظرية الوحيدة التي وضعت بالنسبة لمصدر وطبيعة وحدود قوته، ودائرة نفاذها القانوني كانت ما نص عليه الفقهاء والكتاب وتلامذتهم. وتذهب جذور النظريات العثمانية عن الدولة والسلطة الحاكمة العليا إلى النصوص الدستورية في الشريعة الإسلامية). [5]

والخليفة العثماني، لا يضع القانون، بل هو نفسه مقيد بالقانون، الذي وجد قبل منصبه، وذلك لتجنيب العالم من الخراب الذي يمكن أن يلحق به بسبب الميل الطبيعي في الإنسان إلى التخريب، وبما أن الحاكم رقيب على القانون السماوي فان إطاعته واجب ديني، ومن ثم فان عصيانه إثم كما هو جريمة في نفس الوقت.[6] وهذا المبدأ الذي يحمل معاني التبجيل والاحترام لمنصب الخلافة، التي تمثلت في شخص الخليفة، هي طابع القدسية الذي دأب عليه الناس في مختلف أنحاء الخلافة.

2) انضواء الجزائر تحت لواء الخلافة العثمانية:

بعد تفكك الدولة الموحدية في بلاد المغرب الإسلامي، انقسمت إلى ثلاثة كيانات سياسية، فغطت الدولة الحفصية رقعة ضمت تونس وطرابلس والشرق الجزائري، والدولة المرينية في بلاد المغرب الأقصى، بينما مثلت الدولة الزيانية المغرب الأوسط الذي يضم وسط الجزائر وغربها، وكانت تلك الكيانات مزدهرة صلبة في بادئ الأمر، ثم وقعت في مستنقع الانقسامات والصراعات الداخلية(... فحروب داخل كل دولة بين الطامعين في العرش، وما يجره ذلك من المحن والبلايا، وحروب بين الدول الإسلامية تقود الحفصيين تارة إلى فاس، وتقود المرينيين،

تارة أخرى إلى تونس، ودولة بني زيان بين شقي الرحى، تنتمي مرة لهذا وتنتمي مرة أخرى لذلك، وتعلن وجوب التخلص منهما).[7]

وكانت القوى البارزة يومئذ، الدولة العثمانية بقوتها البحرية، وفي مقابلها الدول الأوروبية المسيحية، والتي خاضت معركة الاستئصال ضد المسلمين ولاسيما بعد سقوط الأندلس، وجعلت اسبانيا من أهم أهدافها الإستراتيجية، احتلال بلاد المغرب الإسلامي، وأوصت الملكة إيزابيلا قبل موتها(1504) بإلحاح لخليفتها بتوسيع ممتلكاتها حتى تشمل جميع شمال إفريقيا، وفعلا بدأت السواحل تسقط الواحدة تلو الأخرى، عندما احتلت اسبانيا المرسى الكبير سنة 1505 لإيجاد ميناء مناسب للسفن الاسبانية.[8]

وأمام التكالب المسيحي الاسباني، ظهرت القوة العثمانية ممثلة في الأخوة برباروس، الذين ابلوا بلاء حسنا في رد العدوان، وتصدوا بقوة للهجمة الاسبانية، وكان الأمل يحدوهم إلى تحرير تلك السواحل، وإرجاعها للحاضرة الإسلامية، واعتبر سكان الجزائر، أن العثمانيين هم أولى الناس بهم لتحرير بلادهم، وإعانتهم على طرد المعتدين، لأن الرابطة الإسلامية تجمع بين الطرفين، وبدأت المراسلات العديدة من حاكم قسنطينة أبو بكر الحفصي، والعلماء والأعيان من أهل بجاية، واستنجدوا بالأخوين لتحرير بجاية، وكانت الموافقة والتنفيذ الفوري منذ 1512، ولكن بجاية استعصت) عليهم.[9] فاتجهوا إلى تحرير جيجل سنة 1514، واتخذوها مركزا لعمارتهم الحربية.[10]

وقد أظهرت حركتهم الدفاعية، وجهادهم البحري، أن المستقبل لتحرير مدينة الجزائر. وخلال تلك الأحداث برزت المكانة التي يحتلها الخليفة العثماني في نفوس المسلمين، وخصوصا في بلاد المغرب الأوسط، فلا يرون غضاضة في الانتماء إليه، ويمكن الوقوف عند بعض المظاهر التي تضفي القداسة على هذا المنصب المرموق في حياة المسلمين:

أ) التواصل بين الأخوين برباروس والخليفة العثماني: اثر تحرير مدينة جيجل من الأسبان، والاستيلاء على النفائس والبضائع الجنوية، اعدوا هدية فاخرة، وأرسلوها إلى السلطان سليم، أخذوها من نصيبهم الخاص من تلك الغنائم، وأخبروا السلطان عن الظروف التي تعيشها سواحل الشمال الإفريقي، وما يبذلانه من جهاد لتحرير المسلمين من الصليبية الاسبانية، التي تريد القضاء على الدين، وهم — حينئذ — في حاجة ماسة إلى الدعم المادي والمعنوي لمواصلة الجهاد. فتقبل السلطان هديتهم الرمزية، وقرر دعمهم في سبيل الإسلام، وأمدهم بهدية تشمل 14 سفينة، تحمل الرجال الأشداء من المقاتلين، وكميات من الأسلحة والعتاد الحربي،[11] وكانت البداية سنة 1514م.

ب) استنجاد سكان مدينة الجزائر ونواحيها بالأتراك في جيجل: لم يكن المجتمع الجزائري — في تلك الظروف الصعبة — يجد بصيص الأمل إلا في القوة التركية المتنامية، والتي أثبتت قدرتها على التصدي للعدو الاسباني، ويومها أرسل صاحب جبل كوكو الشيخ احمد بن

القاضي الزواوي مستنجدا بالأتراك المستقرين بجيجل، ومما ورد في رسالته:(إن بلادنا بقيت لك أو لأخيك أو للذئب).[12] كما أرسل سالم التومي من مدينة "جزائر بني مزغنة" وفدا من أعيان المدينة ــ إلى جيجل ــ يشكو ما لحق بالمدينة وما مسها من إرهاق اسباني، وأكد شيخ الجزائر على استعداده لمد العون للأتراك، إذا أنقذوا بلاده وحرروا حصن البنيون من الاحتلال الاسباني.[13] فاستجاب عروج للنداء، وجهز حملته التي فتحت مدينة الجزائر 1516، واجتمع أهل الحل والعقد في المدينة وبايعوه أميرا للجهاد، لتحرير بقية الوطن، ويعتبر هذا الانجاز، البداية الأولى لبناء" الدولة الجزائرية الحديثة"،[14] والتي شهدت تلك العلاقات الروحية مع الباب العالي، رمز الإسلام والمسلمين.

ج) اقتراح خير الدين إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية: كان خير الدين برباروس في مدينة الجزائر، فبلغه خبر مقتل أخيه عروج في تلمسان، فعزم على ترك البلاد إلى استانبول، على أمل الحصول على أسطول جديد يستعين به على مواصلة الجهاد في البحر، ولكن ذلك لم يتم، للاعتبارات التالية:

ــ الخوف من هجوم الأسبان على البلاد في غيبته، ولا يوجد من يتصدى لهم، ولاسيما أن الأسبان عادوا إلى وهران، ونصبوا "أبا حمو" على عرش تلمسان.[15]

ـ تأثر خير الدين بإلحاح أعيان مدينة الجزائر في البقاء، وهم شيوخ وزعماء القبائل ــ أهل الحل والعقد ــ الذين قرروا إسناد الإمارة لخير الدين خلفا لأخيه عروج، ليواصل الجهاد مكانه، والحوا عليه، ودعموا موقفهم برأي العلماء الذين قالوا له:" إن الله يوجب عليك البقاء في هذه المدينة الإسلامية لحمايتها، ولا يسمح لك الدين بتركها نهبة للمفترس"[16] فأجابهم بأنه بقي منفردا دون إخوته، " وقد رأيتم ما فعله بنا صاحب تلمسان من بني زيان، واستعانته علينا بغير أهل ملتنا حتى كفانا الله أمره، وصاحب تونس الحفصي لا أرى له في نصرتنا وإعانتنا، وأسلمنا للعدو بمنع البارود، لولا لطف الله".[17]

ــ قبول أعيان الجزائر اقتراح خير الدين في إلحاق الجزائر بالخلافة الإسلامية، أمام قلة الإمكانيات التي كانت في حوزة خير الدين، وتهديدات الأعداء وتكالب الأسبان؛ فيكون وضع اليد في السند القوي، والاتصال بالسلطان العثماني، ومما قاله: (فالرأي أن نصل أيدينا بالقوة الإسلامية ــ وهو السلطان سليم خان ــ ونعتمد عليه في حماية هذه المدينة، ولا يكون ذلك إلا ببيعته والدخول في طاعته، بالدعاء له في الخطب على المنابر، وضرب السكة باسمه، لنتفيأ ظل حمايته".[18] وقد لقي هذا العرض قبولا من أعيان وكبراء مدينة الجزائر، وشرع خير الدين في تنفيذه على الفور.[19]

د) الإلحاق النهائي للجزائر بالخلافة العثمانية: نظم خير الدين وفدا جزائريا، تحت رئاسة الحاج حسين(كاهيته) وهو تركي بالمولد، ورفيق خير الدين، وحمله الهدايا الفاخرة، وأرسله

إلى السلطان سليم، الذي كان مقيما بالقاهرة ــ بشكل مؤقت لتنظيم البلاد بعد سقوط دولة المماليك ــ فاستقبله بحفاوة، وقبل ولاء خير الدين، وأذن في ضم الجزائر إلى الدولة العثمانية، وخلع على خير الدين لقب "بيلرباي" أي أمير الأمراء، وجعله حاكما على الجزائر، وسلمه قفطان التولية الرسمية، ودعمه بفرمان يقضي بدعم وحماية الجزائر من قبل الدولة العثمانية، ويسمح بتقديم الدعاء في الخطبة للسلطان على المنابر، وسك العملة باسم السلطان.[20] واعتبر خير الدين الرئيس الأعلى لكل البايات الذين سوف يتولون الحكم في الشمال الإفريقي.[21] ومنذ 924هـ/ 1518م، صارت الجزائر ولاية ملحقة بالخلافة العثمانية، تدين للسلطان بالولاء، وصار ضرب العملة باسم السلطان سليمان خان الأول بتاريخ 926هـ/1520م.[22]

" ... فالحقيقة أن الوجود العثماني كان معتمدا من جهة على رجال القبائل الجزائرية، ومن جهة أخرى كان معتمدا على فكرة الجامعة الإسلامية التي تمثلها الخلافة العثمانية).[23]

إن العلاقة بين الطرفين كانت شرعية، ورغم الآراء التي تجعل من الأتراك مستعمرين، والخليفة قد اغتصب هذه الأرض، فهذا مخالف للصواب، " فالجزائر لم تكن دولة قائمة بذاتها(ذات سيادة) في القرن السادس عشر، حتى نقول إن العثمانيين اسقطوا تلك الدولة وحلوا محلها، ونصبوا أنفسهم مستعمرين أو محتلين".[24] كما أن عدد الأتراك ، طلية حكمهم، الذي دام أكثر من ثلاثمائة سنة، كان ضئيلا، " لم يتجاوز الثلاثة آلاف رجل في أي وقت من الأوقات إلا قليلا، وكان الأتراك جنودا يحمون مركز الدولة المستمد من سلطة الخليفة العثماني الشرعية".[25] وكان دور العثمانيين، هو تحريرها من الاستعمار الصليبي الاسباني،" والاحتفاظ بالجزائر خاصة في دائرة الحضارة الإسلامية التي تمثلها الدولة العثمانية).[26]

3) مكانة السلطان في حياة الجزائريين خلال العهد العثماني:

ويذكر بعض الكتاب العلاقة السيئة لدى أفراد المجتمع الجزائري، ورفضها للأتراك، وهذا دفعهم للقيام بثورات وانتفاضات عديدة، بسبب سياسة التهميش، وسوء المعاملة،[27] ولكن ذلك أمر طبيعي في كل الأنظمة، ولا تمس مقام الخلافة، والدليل عليه:

ـ كانت وفود العلماء، والأعيان تشد الرحال إلى استانبول، تطلب من السلطان التدخل، لكونه صاحب الشأن الأخير، والأمر النهائي، من أجل إصلاح وضع سيئ أو تغيير حاكم.[28]

ـ الفرح في الأيالة، بكل خبر يأتي من دار الخلافة، مثلما وقع سنة 1175، عندما ولد للخليفة السلطان مصطفى خان الثالث ، ولدا سماه " سليم"،(هو السلطان سليم الثالث فيما بعد) وعد ذلك نصرا للإسلام ولاسيما أن الولد تخلف في هذه الأسرة الحاكمة، حتى وقع الإرجاف بانقطاع نسلهم، قال الشريف الزهار" وقد استبشر الإسلام بذلك، وبعثت البشائر لجميع

البلدان".[29] وكذلك عند ولادة عبد المجيد (أصبح سلطانا سنة 1839)، " وفي هذه السنة 1240 قدم قبجي باشي، من الحضرة العلية ببشارة ولادة السلطان عبد المجيد، فانزلوا القبجي باشي. ومن الغد قرئ مكتوب بشارة السلطان. ففرح جميع المسلمين ودعوا للسلطان بالنصر والتأييد وللوليد الجديد بطول العمر وان يكون خليفة لأبيه من بعده. وضربت المدافع سبعة أيام صباحا ومساءا، وكتب الأمير البشارة للبايات ولجميع العمال".[30] وأرسل السلطان محمود قبجي باشا سنة 41، ببشارة ابنة ولدت للسلطان، ووقع نفس المهرجان، واتبعت نفس مراسيم الفرح في كامل البلاد.[31]

- كانت السكة تضرب في الجزائر، وتحتفظ باسم السلطان (الخليفة) فعلى سبيل المثال ريال بوجو به العبارات التالية:(سلطان البرين وخاقان البحرين السلطان محمود خان عز نصره). وعلى الوجه الثاني للعملة:(ضرب في الجزائر1241).[32]

- إرسال القاضي الحنفي من استانبول، ويختار من طرف دائرة القضاء باستامبول، وقد تطول مدة ولايته إلى عهد خليفتين، مثلما هو حال القاضي محمد بن عبد الرحمان(دام مدة عشرين سنة) امتد جزءا منها في عهد السلطان مصطفى الرابع، وأوائل محمود الثاني.)[33]

- الدعاء للسلطان في خطبة الجمعة، على مستوى الأيالة.[34]

4) علاقة الجزائر بالخلافة أثناء فترة الاحتلال:

كان دعاة الجامعة الإسلامية ينطلقون من الإصلاح الديني والاجتماعي، والرجوع إلى الإسلام على منهج السلف الصالح، وهي فكرة قديمة في الجزائر، وظهرت منذ أول يوم للمواجهة مع الاحتلال، لأن الجزائر عرفت الجزائر نكسة كبرى، باحتلالها، وعرفت الجماهير الشعبية، قيمة الحكم تحت الراية الإسلامية، ويعتبر حمدان بن عثمان خوجة أول جزائري يتحدى الأوروبيين مؤكدا على الإسلام كمعلم حضاري لا يتعارض مع القيم الحضارية الأوروبية، ولعب دورا هاما في باريس واسطنول من أجل القضية الجزائرية، وعد في نظر السلطات العثمانية، الأقدر على فهم سلوك المقاومين ولاسيما الأمير عبد القادر، والحاج احمد باي، ومثل عامل الاتصال بهما، وكان يشارك في اجتماعات الصدر الأعظم ويدلي برأيه فيما يخص الجزائر.[35]

وبقي النبض الشعبي موصولا بالسلطان، فهو رمز المسلمين، وأملهم في إنقاذ بلادهم من الكفار الغاصبين، ولاسيما من المقاومين على اختلاف وسائلهم، فالحاج أحمد باي ظل وفيا للسلطان، وكان يراسله ويخبره، بما صنع، ويطلعه على إغراءات الفرنسيين، وافتراءات الباي التونسي، فثبته السلطان، وشد على يده، وطلب منه مواصلة الدفاع عن قسنطينة، وعدم إبرام أي اتفاق إلا بعد مشاورته؛ ورغم الارتباط الكبير بالشعب الجزائري، لم يفكر احمد باي في

إعلان الاستقلال وتوحيد البلاد تحت شعار الوطنية، بل بقي وفيا للخلافة والسلطان.[36]، ولهذا كان السلطان يفكر في تعيينه واليا على الجزائر إذا نجحت مساعيه في استرجاع البلاد. [37]

أما الأمير عبد القادر، فقد اثبت مقدرة على تبني الفكر الإسلامي في مرحلة الجهاد والمقاومة، وبعد نفيه إلى المشرق العربي، تبنى مهمة طرد الفرنسيين، وإقامة دولة عربية إسلامية في الجزائر، ولم يعلق الأمل على السلطان في بادئ الأمر، ولكن تطور الظروف، دفعت به إلى الاتصال بالسلطان بعد 1840، وبتشجيع وسعي من حمدان خوجة، وكذلك رسائله المتبادلة مع السلطان، وفي رسالة الأمير الطويلة للسلطان عبد المجيد، وصفه بخليفة وحامي المسلمين، وعليه يتوقف نجاح مستقبلهم.[38]

والأمير عبد القادر، رغم ما وقع من جفاء من عائلته للسلطة العثمانية قبل الاحتلال، وموقفه من السلطة في العقد الأول من الاحتلال، إلا انه عبر عن ولائه للسلطان، في مرحلة الأسر، عندما أقام سنوات بالدولة العلية، والتي أثنى عليها صاحب تحفة الزائر، باعتبارها كعبة الوفود الإسلامية التي عرفت للخلافة قداستها، وذكر ما لاقاه الأمير عبد القادر من ترحيب وعناية (فتشرف بمشاهدة حضرة السلطان الغازي عبد المجيد خان فرحب به وأحسن السؤال عن أحواله وشكره على ما كابده في الدفاع عن الدين والوطن، وحمده على صبره على ما قاساه أيام إقامته عند الفرنسيين).[39]

وسجل الأمير قصائد في مدح السلطان عبد المجيد، وكيف ذاق طعم الآمان في كنف الحضرة العلية، والتي تفوق الأمان الذي عاشه حمام مكة في الحرم:

وعش هنيئا فأنت اليوم آمن من * حـمـام مكـة إحـرامـا وإحـلالا
فأنت تحت لـواء المجـد مغتبـط * في حضرة جمعت قطبا وإبدالا

واثني على منصب الخلافة، وبين القداسة التي نمت وترعرعت في نفوس المسلمين، وعامة الجزائريين، ومثل السلطان كنفها وحامي المسلمين، فقال:

أبشر بقرب أمير المؤمنيـن ومـن * قـد أكمـل الله فيه الدين إكمالا
عبد المجيد حوى مجدا وعزا علا * وجـل قـدرا كـما قـد عـم أنـوالا
كـهف الخلافـة كافيـها وكـافلـها * من لا عهدنا له في القرن أمثالا
يا رب فاشدد على الأعداء وطأته * واحـم حمـاه وزده منـك إجلالا

ويشير إلى الجزائر وغيرها من البلاد الإسلامية، وهي تهفوا لكنف الخلافة:

فالمسلمون بأرض العرب شاخصة * أبصارهم نحوه يرجون إقبالا[40]

وعاش الأمير أحسن الأيام في إقامته في بروسة، ووصف صاحب التحفة العناية التي لقيها والسرور الذي عمه، والوفود التي زارته، ومواصلته مدح السلطان عندما قامت حرب القرم بين روسيا والدولة العثمانية، فقال الأمير مستغيثا ومادحا:

يـا رب أيـد بـروح القـدس ملجـأنا * عـبد المجيد ولا تبقـيه حيـرانا

ابن الخلائف وابن الأكرمين ومن * توارثوا الملك سلطانا وسلطانا [41]

ويذكر تشرشل، أن الأمير ذاق ذرعا بإقامته في الدولة العلية، واختار دمشق مقام له، [42] ولكن صاحب التحفة رد ذلك لكثرة الزلازل التي مست بروسة، فاختار الهجرة إلى دمشق الفيحاء؛ [43]وبقى الأمير على ولائه للسلطان، وزار السلطان عبد العزيز في الأستانة 22 نيسان 1865. [44]

ورغم التضييق الذي عرفته الحركة الوطنية الجزائرية في القرن التاسع عشر، فقد عبر الجزائريون عن روحهم الدينية، عن طريق الأدب الشعبي، والجمعيات الدينية، والطرق الصوفية، واندمجوا في الدعوة للجامعة الإسلامية، وكان لحرب القرم أصداءها في الجزائر، فافتخر الجزائريون بالسلطان، " وانشدوا المدائح لله، ولخليفة اسطنبول، حامي الإسلام" وهذه تمثل أصل الجامعة الإسلامية في الجزائر. [45]

وعندما احتدت المعركة، وظهرت نوايا الكماليين لإلغاء الخلافة، واستمرت الصحافة الجزائرية أكثر من عشر سنين في متابعتها، وأبدى الكتاب مدى تعلق الجزائريين بالخلافة الإسلامية، واعتبروها رمزا غاليا لتضامن المسلمين وربطهم بحبال الأخوة، لأن الخليفة " ليس الرئيس الديني للأتراك وحدهم، بل لكافة المسلمين" [46]

وكانت طائفة الكتّاب الأولى، من ذوي النزعة الإسلامية من أمثال " ابن الهاشمي" و"ابن باديس" و"الميلي" الذين فسروا قضية الخلافة تفسيرا دينيا، وأبرزهم عبد الحفيظ بن الهاشمي، مدير جريدة النجاح، الذي كان من أكثر الكتاب عناية بالخلافة، ورفع قلمه بعد إلغاء الخلافة سنة 1924، وصب جام غضبه على الأنكليز المتآمرين، والكماليين المنفذين لذلك الإلغاء. [47]

وكتب ابن باديس عن الخلافة، ووجه نقدا للكماليين، واعتبرهم مارقين عن الدين، ولكنه بعد توالي انعقاد المؤتمرات، حول الخلافة، ومنها مؤتمر القاهرة(ماي 1926، ومؤتمر مكة(جوان 1926) ومؤتمر القدس(1931)، وصارت لعبة في أيدي الأنكليز، والهوى لدى حكام العرب، وحينئذ نفض المصلحون الجزائريون أيديهم منها، وحدث تحول خطير. وكان ابن باديس يرفض كل خليفة تشم منه رائحة الأجنبي، كالشريف حسين، وموقفه يتغير فيطالب بالتضامن الروحي حول القرآن الكريم.[48] أما موقف ابن باديس من أتاتورك، والثناء عليه، فيدخل في نطاق حماية آخر نفس في تركيا الجريحة، وأما مبرراته لمصطفى كمال في حربه على الشيوخ لأنهم لم يحابوا الاستعمار الانكليزي، وأنه ثار على الخلافة الزائفة فألغاها، ولم يثر على الإسلام، وإنما على المسلمين الذين استكانوا للظلم. وفرق بين ابن باديس العالم وبين عموم الناس في قدسية الخليفة على الإطلاق، فهو يفرق بين المواقف والأحوال، وقد كتب في البصائر في ماي 1938، تحت عنوان " الخلافة أم جماعة المسلمين: (إن الأمم الكاثوليكية ــ

مثلا ـــ على اختلاف أوضاعها السياسية وتباين مشاربها وأنظارها فيها، ترجع في ناحيتها الأدبية والدينية إلى مركز أعلى هو بابا روما، المقدس الشخص والقول في نظر جميعهم.) ثم يعرض المسألة عند علماء الإسلام الذين يقدمون العقل والنقل على العاطفة والمواقف السياسية. (نعم ليس لنا ـ والحمد لله ـ في الإسلام بعد محمد ﷺ شخص مقدس الذات والقول، تدعى له العصمة، ويعتبر قوله تنزيلا من حكيم حميد، ولكن لنا جماعة المسلمين وهو أهل العلم والخبرة الذين ينظرون في مصالح المسلمين من الناحية الدينية والأدبية، ويصدرون عن تشاور ما فيه خير وصلاح. فعلى الأمم الإسلامية جمعاء أن تسعى لتكون هذه الجماعة من أنفسها، بعيدة كل البعد عن السياسة وتدخل الحكومات، لا الحكومات الإسلامية ولا غيرها) ورأى المتاجرة بمنصب الخلافة، وأنكر ذلك على شيخ الأزهر الشريف.(لقد كنت كاتبت صاحب الفضيلة شيخ الأزهر الشريف بهذا المعنى، ولكني لم أتلق منه جوابا، وعرفت السبب يوم بلغنا أن إخواننا الأزهريين هتفوا ـ يوما ـ بالخلافة لملك مصر فاروق الأول. وسيرى صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر، أن خيال الخلافة لن يتحقق، وان المسلمين سينتهون يوما ما ـ إن شاء الله ـــ إلى هذا الرأي).(49)

بينما نظرت جماعة النخبة لسقوط الخلافة، نظرة سياسية محضة، ورأوها نتيجة حتمية لسياسة الخذلان من الدول العربية الإسلامية مع الدولة العثمانية، ومثل هذا الرأي "ابن التهاميّ و" جلول شمس الدين" من المتفرنسين، وابدوا إعجابا بما ادخله الكماليون على الأحوال الشخصية، ومن أجل التحرر والتقدم.(50)

5) موقف الاستعمار الفرنسي من الخلافة وأنصارها في الجزائر:

كانت السلطات الفرنسية ترى في حركة الجامعة الإسلامية، خطرا بارزا لا بد من التصدي لأدنى ملامحه التي توحي إلى الانتماء السياسي والروحي، وتجسد رد الفعل على الدعاية إلى الفكرة السابقة، في المواقف التالية:

- فلو أخذنا منطقة وادي سوف في الجنوب الشرقي الجزائري كنموذج لهذا الاهتمام من السكان، وردود الفعل الفرنسية، فالمنطقة ـــ في بداية القرن العشرين ـــ كانت محافظة على ولائها للسلطان العثماني، وتعبر عن ذلك بالدعاء له في صلاة الجمعة في كل زواياها ومساجدها، ما عدا زاوية سي محمد العروسي بقمار، لأن العلاقة كانت سيئة بين التجانيين والدولة العثمانية، لأن الأتراك في الجزائر كانوا سببا في خروج الشيخ أحمد التجاني من الجزائر إلى فاس، إثر التضييق التركي.

فكانت السلطات الفرنسية ترصد ذلك، ويتطلب منها الحذر الشديد، لأن الدعاء يحمل معاني الولاء، ولو صدر ذلك السلوك من أتباع الإدارة، وأعوان السلطة المحلية. (51)

فقد منعت النشاطات الاحتفالية الدينية المهرجانية البارزة في الشوارع، مثلما وقع في عهد القايد مصرلي عبد العزيز، فعند تعيينه على عرش المصاعبة في 1919، وبمناسبة المولد النبوي الشريف، طلب من رجال العلم في مسجد سيدي المسعود بالوادي، وبعد قراءة المولد

صباحا في المسجد المذكور، أن يكملوا إنشاد بقية القصائد في بيته، ويختموها بطعام الغداء. وتم الأمر كما خطط له، وتوجه جمعهم تحت إشراف القايد والأئمة، على أنغام الدفوف، وأصوات المدائح الدينية، وقصيدة البردة، في موكب روحي متميز، قطع الشارع من المسجد إلى بيت القايد، ولما بلغ الأمر إلى مسامع الحاكم العسكري لملحقة الوادي، توجه باللوم والعتاب للأئمة والقايد مصرلي، بقوله: " إن عهد الخلافة قد انتهى، ولا ينبغي أن يتكرر هذا مرة أخرى". وسبب معارضته لهذا السلوك العابر، أنه رأى في تلك المراسيم الدينية موقفا سياسيا ينذر بالخطر، ولا بد من إيقافه حتى لا يستشري أمره ويؤثر على وجودهم في المنطقة؛ وبادرت السلطات بالتصدي للمظاهر الطرقية المشتبهة ــ عندهم ــ فأمرت بنزع الأعلام الخضراء التي تزين ضريح الولي الصالح سيدي أحمد الغرايسة بمدينة الوادي، بإشارة من الأب المسيحي (كريبس) لأنه لا ينبغي أن يرفع إلا العلم الفرنسي.(52)

وتم توظيف رجال الطرق الصوفية في الجزائر، ومنها وادي سوف للوقوف مع الثورة العربية، ومساندتها معنويا ضد الأتراك، والتي توجت بإعلان الشريف حسين، الثورة العربية الكبرى ضد الدولة العثمانية يوم 10 جوان 1916، ويومها أصدر المنشور الأول للثورة يوم 26 جوان، ووزع في المشرق، وحرصت بريطانيا على نشره ــ ضمن نطاق واسع ــ في شمال إفريقيا، بالتنسيق مع فرنسا، وتم توزيعه على شيوخ الطرق الصوفية المؤثرة على الحياة السياسية بوادي سوف، وخصوصا الشيخ الهاشمي الشريف، من اجل القضاء على العاطفة التي تكنها الطريقة للدولة العثمانية، وقطع الطريق على المقاومة الليبية الموالية للسلطة العثمانية القديمة بطرابلس الغرب،(53) وكذلك محمد العروسي شيخ التجانية بقمار، واستغلت العلاقة السيئة لهم مع الأتراك بسبب المضايقات التي تعرض لها الشيخ أحمد التجاني في الجزائر ــ مما دفعه إلى الاستقرار بفاس ــ وتم توظيف ذلك الجفاء لخدمة أغراض الاستعمار في قطع الطريق على المقاومة الليبية.

وتضمن المنشور نقدا لاذعا للعثمانيين وسلوكهم المخالف للإسلام في بلاد الحجاز، والاعتداء على الحرم المكي وتدنيسه، وضربه بالقنابل، فضلا عن الظلم المتكرر في حق العلماء والأعيان، ونصب المشانق، وإصدار قوانين تخالف الشريعة الإسلامية،(54) وسبب اختيار الشريف حسين، والحرص على توزيع منشور ثورته، لتحقيق عدة أهداف تخدم السياسة الفرنسية في الجزائر، وأبرزها إضعاف الدعوة إلى الجامعة الإسلامية التي هزت مشاعر الجزائريين بعد الاحتلال الايطالي لليبيا سنة 1911، وأظهرت المقاومة الليبية المسلحة تعاطفا شعبيا معها.(55)

وعملت على كسب ود القوى الإسلامية الجزائرية، ومنهم رجال الطرق الصوفية المؤثرة والأعيان، من أجل تدجينهم لخدمة الأهداف الاستعمارية بطريقة غير مباشرة، وحتى يستخلصوا العبرة من سيطرة الشريف حسين على مكة، وقد أرسل حاكم ملحقة الوادي في يوم

20 جويلية 1916 إلى الشيخ الهاشمي الشريف يخبره بسقوط قلعة الأتراك في مكة يوم 9 جويلية بعد الاستسلام، والتسليم التركي التام للشريف حسين،[56] وهو خبر يحمل التحذير للشيخ الهاشمي، والرغبة في نشر الخبر على نطاق واسع بين أتباع الطريقة القادرية، لأن البلاغات التركية ظلت تصدر منكرة قيام أي ثورة في بلاد الحجاز.[57] ولم ترتاح السلطات الفرنسية لأعمال الشيخ الهاشمي، فعاقبته بعد هدة عميش بالنفي تأديبا له، ولتجعله عبرة، وتخفف من حدة الروح الدينية التي عرفت بها الطريقة القادرية.

ورغم سقوط الخلافة نهائيا في 1924، والحذر المتواصل من السلطات الفرنسية، إلا أن فكرتها بقيت في أذهان السكان، ومثلت المبادئ القريبة من الحركة الوطنية، وعبر عنها الشاعر الشعبي الهادي جاب الله في الأربعينيات بقوله:

شعب الجزائر يتعافى .. من الخرافـــة.. والتفريق اللي فَ اطرافه
يتجمع ويضم أكنافه .. هذي أوصافه.. تحيا جمعيـــة الكشافـــــة
تحيا الجمعية الوطنية.. والخيريـــــــــــة .. والناس اللي يحبُّوا الحرية
تحيا اللغـة العربيـــــة.. بالثقافـــــــــة.. ويتجـدد عهـد الخـلافة[58]

ـ الخاتمة:

لقد عرف منصب الخلافة قدسية ومهابة لدى المجتمع الجزائري، منذ انضواء البلاد تحت المظلة العثمانية، واستمر إلى فترة النضال ضد الاستعمار الفرنسي، وكانت الخلافة رصيدا في المواجهة وحبلا يربط الشعب بالانتماء الإسلامي، ويُمكن الوقوف عند بعض القضايا الهامة التي كشفها هذا الموضوع في الفترة الممتدة بين 1518- 1962:

ـ تأثر الموقف الشعبي، بالشرعية الدينية، باعتبار الخلافة في منظور الشريعة هي الحفاظ على الإسلام، وهي المؤهلة لإقامة الدين، وتنفيذ أحكامه عمليا في واقع الناس، والسهر على تطبيق الأحكام الشرعية، وسياسة شؤون الدولة كما رسمها الإسلام، وهذا جعل الشعوب الإسلامية ترتبط بها، ودفع الجزائريين، من القادة، أو عامة الناس إلى القبول بالانضواء تحت راية الخلافة، لأنها القوة الوحيدة ـ يومئذ ـ للدفاع عن البلاد، ورد التحرشات الاسبانية، وتطهير السواحل من بؤر الاحتلال الصليبي.

ـــ ظل الارتباط بالخلافة ـــ طوال التواجد التركي في الجزائر العثمانية ـ جليا في العديد من المظاهر والمراسيم، التي ترعاها السلطات الحاكمة من جهة، ويتفاعل معها الشعب من جهة ثانية،وهي تدل على الولاء التام للسلطان، ونلمسه عند العلماء والأعيان في شد الرحال إلى الباب العالي عند كل نازلة أو ملمة، تحتاج إلى التدخل السريع من سدة الحكم العلية في الآستانة، كما تقام الأفراح في أرجاء الأيالة، مشاركة للسلطان عند إنجابه الأولاد والبنات، أو تكلل حروبه بالنصر على الأعداء، كما أن السكة والنقود تضرب باسمه، وتنوه بمكانته،

وتعطيه قدسية يومية، ما دامت العملة متداولة بين أفراد الرعية، ويدعم ذلك الدعاء الذي يدعو به الخطباء في الجُمع والأعياد والمناسبات، ويؤمنون على النصر والتمكين.

- إن سقوط الجزائر في يد الفرنسيين، وانتهاء الحكم التركي، لم يقطع الصلة الروحية بالباب العالي، واستمرت محاولات الاستفادة من السلطان، لمقاومة المحتل، واسترجاع الأيالة، واعتبره المقاومون رمزا، سواء عند احمد باي، أو الأمير عبد القادر، ولاسيما بعد الأسر والنفي، والإقامة في الآستانة، وظل مواليا للسلطان، ودبج قصائد في مدحه والثناء عليه، والتنويه بعظم انتصاراته، وجعل من السلطان عبد المجيد، كهف الخلافة، وكافيها وكافلها، وهو مميز عن باقي الحكام والسلاطين.

- أما النخب الإسلامية، فانطلقت من الموقف السياسي، ودافعت عن منصب الخلافة المهدد من الكماليين والأنكليز، ومن ورائهم اليهود، وخصوصا بعد إلغاء الخلافة، وحينئذ ظهر النشاط من خلال الجامعة الإسلامية، التي استمر أصحابها في نصرة الخلافة، وتبلور - في الصحافة - رأي مخالف، أو متجدد، مثله ابن باديس سنة 1938، حين مدح أتاتورك، وحين صارت الخلافة ألعوبة في يد الأنكليز، وفي هوى بعض الحكام، مثل الملك فاروق، والشريف حسين الذين سعوا - بتشجيع ودفع من الاستعمار- لتولي هذا المنصب، وحينئذ، رأى ابن باديس، أن يكون التضامن الروحي حول القرآن، وان القدسية لا تكون لأحد بعد رسول الله ﷺ، لأن الخلافة صار يتاجر بها، وأثنى على مصطفى كمال، لأنه حافظ على البقية الباقية من الدولة التركية، وعلى تماسكها، ولم يكن ينصره لأنه حارب بعض المظاهر الإسلامية - بل ينكرها عليه - لأن ابن باديس، رآه أحسن من غيره من الحكام الذين يتشدقون بالإسلام، ويضربونه في الخفاء، ولم تكن النخبة الفرنسية - في الجزائر - أبعد عن هذا الطرح.

- إن الاستعمار الفرنسي بقي متوجسا خيفة من أي نشاط وحدوي إسلامي، ولو كان تحت رعاية الطرق الصوفية، أو له المظاهر الدينية التي تجنح إلى الفلكلور والمهرجانية، لأنه يراها رصيدا روحيا، يمكنه أن يتحول إلى نشاط مفعم بالوعي الحركي، ويكفيه حمل عنصر الهوية، وفي داخله رفض للسياسة الاستعمارية، وربما يطفو على السطح عامل المقاومة الشعبية، حين تتوفر شروطها وأسبابها الموضوعية.

ولكن الخلافة - رغم كل الكيد الاستعماري - ظلت راسخة الجذور في قلوب الجزائريين، ويرى الشاعر الشعبي - المعبر الرسمي عن الصوت الشعبي - أن الحركة الوطنية، والمحافظة على الثوابت(اللغة العربية ومبادئ الإسلام) في نفوس الجزائريين، هو السبيل الأمثل إلى التحرر والانعتاق من العبودية، ويؤول إلى أسمى غاية لديهم، وهي تجدد عهد الخلافة الإسلامية.

وخلاصة الموضوع، أن الخلافة - في عرف الجزائريين - ولو كانت شبحا باهتا، فهي الهيكل الذي يحمي الإسلام، ويجعله فاعلا في حياة الناس.

الهوامش:

1) برنار لويس: اسطنبول وحضارة الخلافة العثمانية ، تر وتع سيد رضوان علي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط2، الرياض، 1982، ص 64

2)سعيد حوى: الإسلام، شركة الشهاب، ط2، الجزائر، 1988، ص ص 372-373.

3) الماوردي: الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، د ط، د ت، ص 19.

4) أنظر: ابن تيمية: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، دار الزهراء للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1990، ص ص 6-22.

5) برنار لويس، المرجع السابق، ص 59.

6) نفسه، ص 64.

7) أحمد توفيق المدني:حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792، دار البصائر، ط1، الجزائر، 2007، ص 58-59.

8) جون.وولف: الجزائر وأوروبا 1500-1830، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2005، ص 25-26.

9) أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 148.

10) عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، ط7، الجزائر،1994، ج3، ص37.

11) أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 156-157.

12) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3،ص 15.

13) أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 157.

14) نفسه، ص 158.

15) صالح عباد: الجزائر خلال العهد التركي 1514-1830، دار هومة، ط2، الجزائر، 2007، ص 49.

16) أحمد توفيق المدني، المرجع السابق ،ص 181.

17) أحمد بن ابي الضياف: إتحاف أهل الزمان بإخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الدار التونسية للنشر- تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر، 1977، ج2، 11.

18) نفس المكان.

19) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص 46.

20) صالح عباد، المرجع السابق، ص 49.

21) أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 182.

22) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 46 .

32) أحمد توفيق المدني: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، تحقيق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1980، المقدمة، ص 8.

24) أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ج4، ص 188.

25) أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، المقدمة ص 07.

26) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج4، ص 188.

27) حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، ط1، عين مليلة - الجزائر، 2008، ص 09-27.

28) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص ص 204-206.

29) مذكرات الشريف الزهار، ص ص 15-19.

30) نفسه ، ص 145.

31) نفسه، ص 158.

32) ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1985، ص 191.

33) مذكرات الشريف الزهار، ص99.

34) أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1998، ج1، ص 396.

35) عبد الجليل التميمي: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي الجزائر وتونس وليبيا1816-1871، منشورات ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، زغوان 1985، ص 48.

36) أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1992، ج1، 136-140. يحي بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار البعث، ط1، قسنطينة-الجزائر، 1980، ص 38.

37)عبد الجليل التميمي، المرجع السابق،ص 45.

38) نفسه، 50.

39) محمد بن الأمير عبد القادر: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وتاريخ الجزائر، المطبعة التجارية، الإسكندرية، 1903، ج2، ص ص 50-51 .

40) نفسه، ص 52.

41) نفسه، ص 54.

42) شارل هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، الدار التونسية للنشر- تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر، 1974، ص ص 247-282.

43) محمد بن الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص 63.

44) نفسه، ص 153.

45) أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1992،ج2، ص ص37-39 .

46) محمد ناصر: المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها.تطورها.أعلامها من1903 إلى 1931، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر، 1978، مج1، ص 178.

47) محمد ناصر،ج1، ص 179.